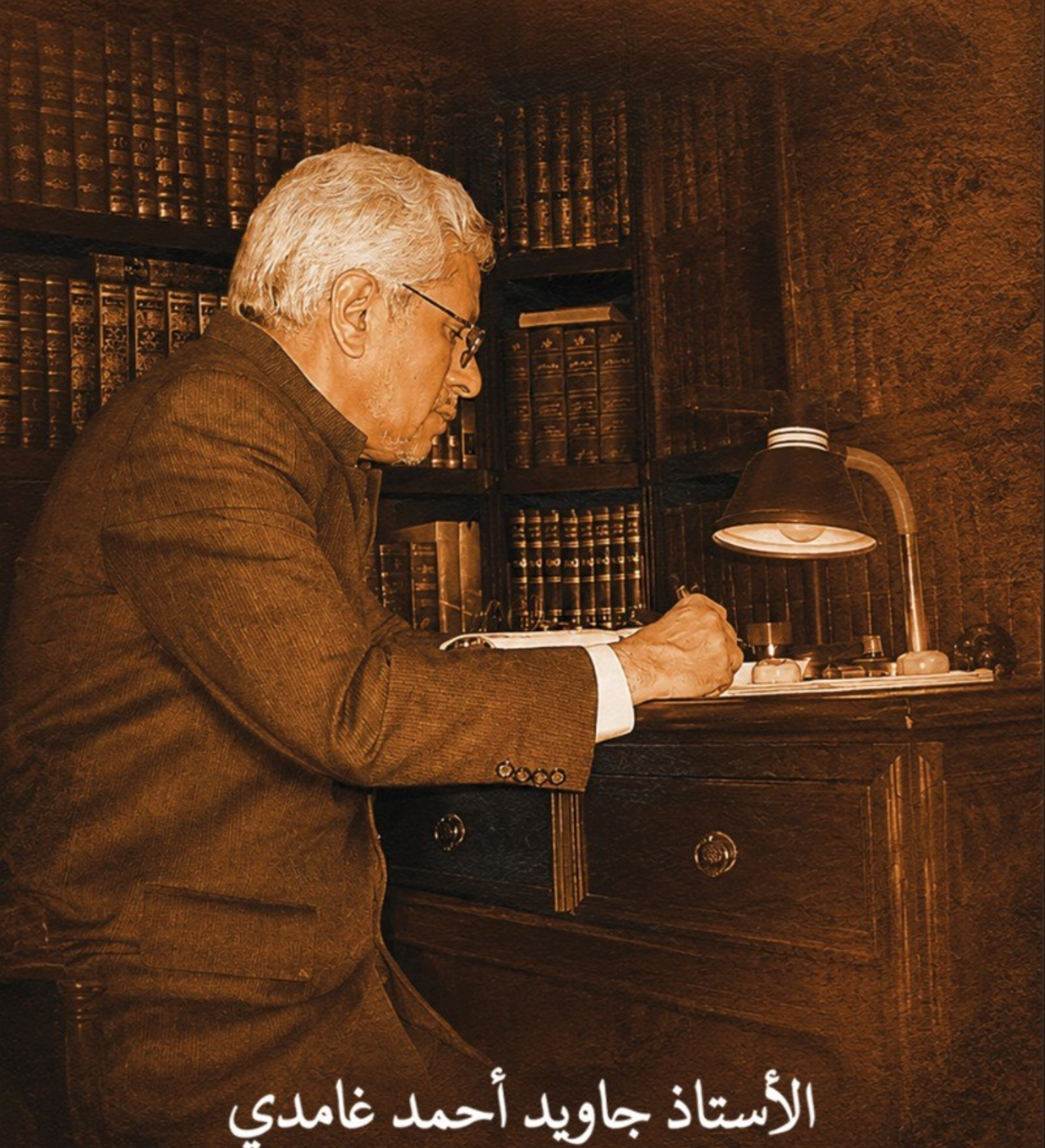


دعوة الحق

إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ



الأستاذ جاويد أحمد غامدي

دعوة الحق

دعوة الحق

ألفه

الأستاذ جاويد أحمد غامدي

نقله إلى العربية

د. محمد غطريف شهباز الندوي

مركز غامدي للتعلم الإسلامي (GCIL) أمريكا

فهرس المحتويات

دعوتنا ٩

الإيمان بالله ١٥

الأصول والمبادئ ٤٣

الدين الحق ٤٩

الإسلام والدولة ٨٠

النهي عن المنكر ١٠٤



مقدمة

الإسلام دين الله، فما التأويل الصحيح عنه؟ هذا الكتيب بيانٌ لذلك، وقد أُعِدَّ للدعوة إلى هذا التأويل بعينه. وقد اختيرت له نصوص تعبر في جملتها عن هذا الدين كله، الذي شرحناه وفصلناه في كتابنا "ميزان". والمقصود من ذلك أن تصل هذه الرؤية الصحيحة للإسلام في عصرنا الحاضر إلى كلِّ عارفٍ وعامٍّ، وأن تبلغ دعوتها الجميع:

راہے کہ خضر داشت ز سرچشمہ دور بود

لب تشنگی ز راہ دگر بردہ ایم ما

"لقد سلك الخضر طريقاً بعيداً عن

المنبع، أما نحن فقد مضينا بالعطش
في طريقٍ آخر.

دالاس، الولايات المتحدة الأمريكية

٧ يونيو ٢٠٢٦ م — جاويد أحمد غامدي

دعوتنا

إن الدين هدى الله سبحانه الذي ألهم
في فطرة الإنسان أولاً ثم أعطيه الإنسان
عن طريق رسله وأنبياءه مع تفاصيله الضرورية
التامة. وختمت سلسلة الرسل بمحمد صلى
الله عليه وسلم ولذا فإن محمد رسول الله
هو المصدر الوحيد للدين اليوم، والدين
هو الذي يجعله ديناً بقوله وفعله وتقريره
وتصويبه لا غير.^١

^١ الجمعة ٦٢ : ٢.

— دعوة الحق —

فندعوا الإنسانية جمعاء إلى الإيمان بهذا الدين وأن يزكو حياتهم الفردية والجماعية طبقاً له. فمن يقبل هذه الدعوة سيجزون بالجنة سعتها كسعة الكون كله. والتي لا يتصور فيها موت مع الحياة، وألم مع اللذة وغم مع الفرحة واضطراب مع الطمأنينة، وهم مع الراحة ونقمة مع النعمة. راحتها دائمة لذتها لا نهاية لها وزمانها خالد وسلامتها أبدية وسرورها غير فان وجمالها لا زوال له وكمالها لا نهاية له. فقد وفر الله فيها لعباده الصالحين مالا رآته عين ولا سمعه أذن ولا خطر خياله على قلب بشر.^٢

وندعوا المؤمنين بهذا الدين أن يطابقوا

^٢ الأعلى ٨٧ : ١٤ - ١٧.

— دعوة الحق —

عملهم بإيمانهم لاستحقاق هذه الجنة وأن
يؤدوا ما عليهم من حقوق العباد بإخلاص
كامل ولا يعدوا على نفس ومال وحرمة.^٢
وندعوهم أن يتناصحوا في بيئاتهم ودائرة
عملهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
فهذه فريضة أوجبها الله ربهم وكل شخص
مسئول عن أداء هذا الواجب، الأب لابنه
والإبن لأبيه، الزوج لزوجته والزوجة لزوجها،
الأخ لأختها والأخت لأخيها، الصديق
لصديقه والجار لجاره. وبالجملـة كل شخص
مطالب عن أدائه لمن يتصل به من أشخاص
وروابط. فالجميع مسئولون عن الأمر بالمعروف
والنصح بالخير مطابقاً لعلمهم واستعدادهم

^٢ النحل ١٦ : ٩٠.

— دعوة الحق —

وصلاحياتهم لمن بغى على الحق واعتدي عليه
من الأقارب وذوي القربى.^٤

وعليهم أن يبقوا على الحق والإنصاف
إذا واجهتهم العواطف والتعصبات والمصالح
والرغبات تحيدهم عن الحق والإنصاف.
وإذا طالبتهم هذه الشهود فاليشهدوا عليها
مع تضحية نفوسهم. وأن يقولوا الحق
ويستسلمون له. ويكونون شاهدين بالعدل
وأن لا يختاروا إلا العدل في العقيدة والعمل.^٥

وإن عوملوا بالتعذيب الديني فلا يميلوا
إلى العنف جواباً للعنف بل الصبر.^٦ وإذا أمكن
انتقلوا من مكان الاضطهاد إلى مكان يتوفر

^٤ التوبة ٩ : ٧١.

^٥ النساء ٤ : ١٣٥، المائدة ٥ : ٨.

^٦ حم السجدة ٤١ : ٣٣-٣٥.

— دعوة الحق —

فيه العمل بالدين بحرية تامة.^٧

وقد قام علماء مدرسة الفراهي في العصر الحاضر بعون من الله وتوفيقه الخاص بتقديم الدين الحق مبثريا على القرآن والسنة خالصاً من كل شوائب الفقه والكلام والفلسفة والتصوف كما هو في الواقع. فهذا جهاد كبير أن تكون هناك محاولات كثيفة لنشر الدين في ضوء هذا الفكر والاهتمام بتعليم الناس وتربيتهم وفقاً له، والتشكيل الجديد للفكر الديني عند المسلمين في ضوءه. فندعوا الناس أن يمدوا إلينا يد العون والمساعدة عن طريق تأييدهم ووقتهم ووسائلهم في هذا الجهاد. فهذه نصره لدين الله الحق الذي لا ينبغي أن يكون هناك شيء عزيزاً لعبد

^٧ النساء ٤: ٩٧.

— دعوة الحق —

مؤمن غيره.^٨ فقد قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ
اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ
مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ
نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾. (الصف ٦١: ١٤)



^٨ التوبة ٩: ٢٤.

الإيمان بالله

الإنسان مخلوق. تبدأ قضية الدين بإدراك هذه الحقيقة. إنها حقيقة وجودية، ويمكننا ملاحظتها بأعيننا وقتما نريد. لذلك نحن نعرف من أية عناصر غير حية يتم إنشاء كيان الإنسان، وإلى أي مصنع تذهب تلك العناصر من خلال نظامنا الغذائي. وكما نعلم أنه لا توجد بذرة إنسانية فيها، ولا يوجد أي شيء يحول المادة إلى حياة، والحياة إلى وعي وشعور. ولكن عندما يصل الغذاء نفسه إلى نقطة معينة، يتم تحويله إلى مادة

— دعوة الحق —

منوية تحتوي على النطف المنوية القادرة على أن تصبح إنساناً. وتوجد الجراثيم المنوية بالملايين والملايين في هذه القطرات المنوية، والتي تخرج من ذكرٍ واحدٍ في مرةٍ واحدة. وكل واحدٍ منها لديه القدرة على لقاء وتلقيح بويضة المرأة، والتي تتشكل بنفس الطريقة في مصنعٍ آخر، وتصبح إنساناً كاملاً. ويمكننا أن نرى أنه عندما تلتقي هذه الجرثومة بالبويضة، فإن الشيء الذي يظهر إلى حيز الوجود في البداية يكون صغيراً جداً، بحيث لا يمكن رؤيته بدون مجهر. ولكن ثم يتحول نفس الشيء المحتقر في تسعة أشهر وبضعة أيام، بدءاً من قطرة ماء، إلى مضغة تتحول في حلقة، ثم في العظام المركبة عليها اللحم، ويصبح شيئاً آخر في رحم الأم، ويخرج إلى

— دعوة الحق —

عالم الكون، حتى يتمكن من إظهار عجائب المعرفة والتفكير والفكر والصناعة، والتي يمكن رؤيتها ومشاهدتها في كل مكان في العالم في هذا الوقت.

نرى هذا المخلوق وننظر من خلال بنيته وعينه أن نبحث عن خالقه. ليس لأنه يجب أن يكون هناك خالق لكل الأشياء، بل لأنه يجب أن يكون هناك خالق لكل مخلوق. إن فعل الخلق هو الذي يجبرنا على البحث والتفقد عنه. لقد وُلدنا مع هذا القلق وحس الفحص، لذلك لا يمكننا أبدًا أن نتفق على التخلي عن البحث عن فاعلٍ للفعالية، وعن مؤثرٍ لكل تأثير. انظروا إلى كل أساطين الفلسفة والعلم والتصوف واحدًا تلو الآخر، لم يتمكن أحد منهم من التخلي عنها. لذلك فإن تاريخ المعرفة كله

— دعوة الحق —

هو تاريخ الاعتراف بحقيقة أن كل مخلوق له خالق، وبما أن الإنسان مخلوق، لذلك يجب أن يكون له أيضاً خالق.

وليس هذا فقط، ولكننا نعلم أن عمل الخلقة الذي نشهده مقصود وإرادي، وفي كل جزءٍ منه تظهر قوة هائلة ومعرفة وحكمة لا مثيل لها. وكما أننا لا نستطيع أن ننكر الخلق، لا يمكننا أن ننكر طبيعة هذا العمل؛ لأن طبيعة الفعل هذه هي حقيقة وجودية تماماً، كما أن وظيفة الخلق هي أيضاً حقيقة وجوبية. وكما نلاحظ العمل، نلاحظ هذه الحقيقة أيضاً؛ لذلك نحن ملزمون بالاعتراف في الوقت نفسه بأن خالق الإنسان هو صاحب الإرادة. وقوته غير محدودة، وهو عالمٌ وحكيم.

فقد يجيء عقل الإنسان به ويحضره إلى

— دعوة الحق —

هنا. فهو في هذه الرحلة لا يحتاج إلى أي توجيه من الخارج. إن قدرة المعرفة والفهم التي منحها الإنسان عند ولادته كافية لإرشاده في هذه الرحلة. ولكن أبعد من ذلك، فإن السؤال: من هو ذلك الخالق؟ لا يمكن للعقل البشري أن يجيب على هذا بنفس اليقين والقطعية الحتمية. وهكذا فإن عقله عادةً ما ينظر إلى الإجابتين اللتين تم تقديمهما عبر تاريخ البشرية، ويختار بينهما أو يظل مترددًا في صراع بينهما.

الجواب الأول هو أن الكون الذي يفتح الإنسان في حضنه عين الوعي والشعور هو خالقه. هذا هو جواب الإلحاد.

ويتم تقرير هذا الرد بشكل عام بطريقة تجعل الكون لديه وعيه الخاص، بحيث تكون تلك القوة المبدعة أيضًا بداخله، والتي

— دعوة الحق —

هي خالقة من حيث واقعها. ولا يوجد شيء خارجة، ولكن التمييز بين الداخل والخارج موجود أيضاً بداخله. وكل جزء منه موجود بنفسه في داخله وأيضاً في خارجه. إنه مصنع الأسباب والعلل، لكن السبب النهائي في مجمله هو نفسه.

وهذه الإجابة مجرد ادعاء.

أولاً: لأنه لم يتم رصد أي دليل في مشاهدتنا على الوعي الذاتي للكون الذي تدعيه هذه الإجابة. ونحن نعلم أن حقيقة الكون هي المادة، والمادة خالية من القصد، كما أنها خالية من العلم والعقل. وهذه الأشياء، إذا وُجدت في أي مكان، فهي موجودة في نفس المخلوق الذي ادّعى فيه أن هذا الكون هو خالقه، وليس هذا فحسب، فهذه القوة أيضاً في مستوى ما،

— دعوة الحق —

إذا وُجدت في أي مكان، فهي في نفس المخلوق. وبدونها يصبح الكل من المعرفة والعقل والإرادة بلا معنى.

ثانيًا: لأن ظهور قوة الكون، الذي اعتبر خالقًا، هو مجرد ظهور لخصائص الشيء الكائن وفعاليته وتأثيره. ويمكننا أن نرى هذا النوع من الظهور في كل جزء من الآلات الأوتوماتيكية التي اخترعها الإنسان، وفي شكل الذكاء الاصطناعي الذي يفاجئ بكماله المذهل الجميع الآن.

ثالثًا: لأن مجملها إن وُجد، فهو مجموع نفس التأثيرات والخصائص التي تخلق علاقات السبب والنتيجة، وعلاقة العلة والمعلول فيه، ولا علاقة له بفعل الخلق، الذي يتطلب قوة المعرفة والعقل والنية والعمل في كل مرحلة. فهذا عالم الأسباب والعلل، ودنيا

— دعوة الحق —

المناهج والقوانين، وليس لها مكانة أكبر من ذلك.

من هو خالق الإنسان؟ الجواب الثاني على هذا السؤال هو الذي قدمه أولئك الذين يقدمون أنفسهم كأنبياء. وكانت قد أعطيت هذه الإجابة للإنسان مع بداية خلقه. فكما كان الإنسان الأول أول إنسان، كذلك كان النبي الأول. وتتلخص هذه الإجابة في أن خالق الإنسان هو الذات الحكيم خارج هذا الكون. بدأ خلق الإنسان من بطن الأرض. فإن نفس عناصر التربة التي تدخل إلينا على شكل طعام تبدأ هذه العملية بالتحول إلى مُخْلَص الماء المهيّن (النطفة المنوية) التي يُصنع منها البشر. فقد مرت نفس العملية داخل الطين اللزب في ذلك الوقت حتى اكتمل الخلق، وجفّ نفس

— دعوة الحق —

الملاط من الأعلى وأصبح الطين صلصالاً كالْفَخار. وبسبب الهدم والكسر فيه ظهر كائن حي، والذي ينبغي أن يُسمى وجود الإنسان. ثم بدأ نفس الفعل الذي حدث داخل الأرض يحدث داخل هذا الكائن غير المهذب، وبدون علم وفهم، وبعد ذلك يتم صقله وتهذيبه وتسويته بكل طريقة، حتى يتمكن من إعطائه شخصية الإنسان. لذلك مُنح إياها مع ضربة خفية، ونُفخ فيه من روحه. كما قال:

﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ

جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ

ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ وَجَعَلَ

لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا

مَا تَشْكُرُونَ﴾. (السجدة ٣٢: ٧-٩)

والمصدر الذي رُدَّ منه هذا الجواب

— دعوة الحق —

آخر مرة هو هذا القرآن الذي نُقلت آياته
أعلاه. ويزعم النبي الذي قدّمه أنه كلام
الخالق الذي نزل عليه. وكما نزل قرأه على
الناس بالطريقة نفسها، ولم يبدّل فيه
حرفاً ولا مقطوعاً، ولن يجرؤ على ذلك أحدٌ
غيره إلى يوم القيامة. وعليه فقد قيل لهم:
إن كنتم لا تعتقدون أن هذا من كتاب
الله، فهاتوا سورةً واحدةً من مثله، في
مستوى ما اشتمل عليه من الهداية، ورفعة
مضامينه، وبلاغة أسلوبه في البيان، إن
كنتم صادقين في دعواكم:

﴿وَأِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَيَّ

عَبْدِنَا، فَاتُّوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ، وَادْعُوا

شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ، إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ﴾. (البقرة ٢: ٢٣)

ذكر هذا الادّعاء في القرآن الكريم في

— دعوة الحق —

أكثر من موضع، ومعه طُرح معيارٌ واضحٌ جداً يمكننا على أساسه أن نقرر ما إذا كان القرآن حقاً كلام الخالق، أم افتراء إنسانٍ نسبه إلى الخالق.

وما هو ذلك المعيار؟ يمكننا أن نعرض ذلك في النقاط الثلاث التالية:

الأول: أن المعرفة التي يدّعيها الإنسان لفظاً ومعنى تكون معرفةً ثابتة بعد المرور بمراحل عديدة من التجربة والخطأ. ففي اليوم الأول ليس هو سقراط ولا أفلاطون، ولا غالب ولا شكسبير، ولا نيوتن ولا أينشتاين ولا ابن حزم. بل إنه يتعلم ويفهم ويخطئ في كل مرحلة من مراحل التعلم والفهم، ويصحح أخطاءه أيضاً. نراه يأخذ المعارف من المتقدمين سنوات، ويمارسها ويصقلها، ويتقدم فيها خطوةً خطوة، حتى تصدر منه

— دعوة الحق —

جواهر العلم وروائع الأدب. هذا هو قدر الإنسان وقدر وُلده به، وفي تاريخ العلم والأدب كله لم نشهد أي استثناء لهذا. أبداً، ولا يمكن تصور مثل هذا الاستثناء على الإطلاق مستقبلاً.

لكن القرآن له استثناء من ذلك. فإن الشخص الذي قدّمه كان يراه شعبه ليلَ نهارَ مدة أربعين عاماً في قرية صغيرة مكوّنة من بضع مئاتٍ من المنازل. لقد مرّت أيامه ولياليه أمام أعينهم، لكنهم لم يروا قط بمرّ السنون من مراحل التجربة والخطأ تلك التي تلازم مثل هذه المعرفة والكلمات، وهي خاصية لكل إنسان. ولذلك، فإن الحقيقة أنهم لا يكادون يصدّقون أن هذا الرجل الصادق والأمين، من قريتهم، يمكن أن

— دعوة الحق —

يكون خالق مثل هذه المعرفة، ومبدع مثل هذه الكلمات العظيمة. فكانوا يضطرون أن يقولوا، متضايقين: إن كلَّ هذا قد أملاه عليه عجمي متعلِّم. وقد نبَّههم القرآن ولفت أنظارهم إلى ذلك فقال:

﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾.

(يونس ١٠: ١٦-١٧)

وكان المقصود أن يخاطبهم النبي قائلاً: أيها الأغبياء! متى رأيتموني أهتم بهذه المناقشات والمباحث، أو أُعبر عن بعض الأفكار والآراء عنها، أو أتدرب على تحريرها،

— دعوة الحق —

أو أكتسب أي علمٍ وفنٍّ يتعلق بها، والتي
يتم تلاوتها تبعاً في سور القرآن الآن؟ وقد
أقمتُ بين أظهركم طوال الأربعين سنة، فمتى
شعرتُم بشيءٍ في كلامي وحركاتي واندفاعاتي
مما يمكن تسميته مقدمةً للدعوة التي أتوجه
بها إليكم في هذا الوقت؟ ما أقوله اليوم،
هل وجدتم أيَّ علامات تطوُّرٍ له في حياتي؟
ألا تعلمون أن دماغ الإنسان لا يستطيع إنتاج
أيِّ شيءٍ في أية مرحلةٍ من عمره، والذي
لا تظهر عليه علامات التطور في المراحل
المبكرة؟ وأنتم تقولون اليوم إنني أكذب
على الله. وقبل هذا هل سبق لكم أن رأيتم
أي شائبة لأي كذبٍ أو خداعٍ أو تزويرٍ أو
زللٍ في شخصيتي، حتى اليوم كنتم تعتبروني
صادقاً أميناً وجديراً بالثقة. والآن كيف

— دعوة الحق —

تقولون إن نفس الصادق والأمين أصبح
كذاباً مفترياً وضالاً بين عشية وضحاها؟
يا عباد الله! لماذا لا تعقلون ولا تتصرفون
بحكمة؟

والثاني هو أن المعرفة الإنسانية لا يمكن
أن تكون خالية من التناقضات. فإن حكاية
النحت والعبادة والكسر، التي يبدأ الإنسان
كتابتها من اليوم الأول تستمر حتى النهاية.
وهذا أيضاً إذا فكرت فيه علمت أنه نتيجة
لنفس التجربة والخطأ الذي ذكرناه لاحقاً،
وليس هذا فحسب، فإذا اتخذت معرفته
يوماً ما شكل الأدب فسوف يحدث فيه نفس
الوضع. إذا نظرت إلى أعماله بعناية يبدو
لك كلُّ من القصيدة والبلاغة والمعنى مختلفاً
متفاوتاً. فيكون كلامه معجزاً للجمال في

— دعوة الحق —

بعض الأماكن، وفي بعض الأماكن يظهر في درجة سافلة كثيراً، وحتى في بعضها الآخر مهملاً. لذلك إنها حقيقة أنه لم يكن هناك أبداً إنساناً في العالم يستمر في إلقاء الخطب حول مواضيع متنوعة وفي مواقف مختلفة تبلغ إلى حد الإعجاز من حيث البلاغة ورفعة الكلام، وعندما يتم جمع وشمل هذه الخطب من البداية إلى النهاية، فإنها تأخذ شكل مجموعة متناسقة ومتوافقة ومنسجمة من الكلام، حيث لا يوجد صراع أفكار، ولا توجد لمحة عن الأحوال التي تنشأ في قلب المتحدث والمتكلم وعقله، ولا يمكن رؤية أي علامات تغيير في الرأي ووجهة النظر في أي مكان فيه.

ولكن للقرآن هناك استثناء من هذه

— دعوة الحق —

الكلية أيضاً، فقد قال تعالى:

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ
عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا
كَثِيرًا﴾. (النساء ٤: ٨٢)

يقول الأستاذ الإمام:

"... وكل مقولة للقرآن مستحكمة
ومتراصة في أصولها وفروعها إلى درجة
لم تكن صيغ الرياضة وقوانين الهندسة
المستحكمة كاستحكامها. فإن العقائد
التي جاء بها هي متناسقة ومتراصة
بعضها ببعض، حتى إنَّ نَقْصًا في واحدةٍ
منها يخلّ بالسلسلة الكاملة لها. فالعبادات
والطاعات التي يأمر بها القرآن تنبثق
من تلك العقائد كما تتفرع الأغصان
من الجذع. والأعمال والأخلاق التي
يلقنها القرآن تظهر من أصولها كما

— دعوة الحق —

تظهر اللوازم الطبيعية الفطرية من الشيء. ونظام الحياة الذي يحدث من تعليمه الجماعي يبرز في صورة بنيانٍ مرصوص. كل لبنةٍ من لبناته ترتبط وتلتصق ببعضها من بعض، حتى إن تجزئتها لا يمكن إلا بإحداث خللٍ في البنيان كله. " (تدبر القرآن ٢/٧٤٣)

ثالثًا: إن علم الإنسان لا يكون صحيحًا مطلقًا أبدًا. هناك دائمًا مزيج من الحقيقة والباطل فيه، ولذلك فهو لا يغادر الدنيا حتى تظهر أخطاء علمه ومعلوماته واستدلالاته وظنونه. وهذا هو مصير كلٍّ من سقراط وأفلاطون ونيوتن وأينشتاين. ولا يمكن لأحدٍ الهروب من هذا المصير. ولم يُستثنَ أحدٌ من ذلك في أي مكانٍ وفي أي عصرٍ

— دعوة الحق —

في تاريخ العلم والأدب كله. لكن القرآن له استثناءٌ مدهشٌ في هذا الشأن أيضاً. وكتاب الله هذا متواجدٌ عندنا في يومنا هذا، وقد مرَّ عليه خمسة عشر قرناً على الأقل منذ قراءته لأول مرة، وتحديه باقٍ حتى اليوم. ومع ذلك لم يتمكن أحدٌ من أعظم الفلاسفة والحكماء والعلماء أن يثبت خطأ من كلامه أو بطلاناً في تعاليمه. والدنيا في أثناء هذه البرهة الطويلة قد تغيّرت رأساً على عقب، لكن لم يتم الكشف عن مثل هذه الحقيقة في هذه الرحلة بكاملها، ولكن في هذه الرحلة بكاملها لم يتم الكشف عن حقيقةٍ تتعارض مع الحقائق التي قدّمها القرآن، ولم تنكر أي معرفةٍ المعرفة المذكورة في القرآن، ولم يتم بأي خبرةٍ وملاحظةٍ تثبت أن التوجيه

— دعوة الحق —

الذي أعطاه القرآن للإنسان لأي غرض
يهدفه باطلاً، وما يسميه حقاً لم يكن أبداً
كاذباً، وما يسميه كاذباً لم يثبت صحته
أبداً. وهذه حقائق لا تتحدّى عن القرآن
كما قال تعالى:

﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ
مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ
حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.

(حم السجدة ٤١: ٤١-٤٢)

هذا هو المعيار الذي بموجبه أخبر القرآن
الإنسان، بعد إثبات صحته، أن الكون الذي
تخطئون في اعتقاده أنه خالقكم هو أيضاً
مخلوق لمن هو خالقكم. ألا ترون أن كل شيء
في هذه الدنيا هو إظهارٌ بارع ومؤشّرٌ عظيم
على الخلق المبدع، وفي كل شيء له آيةٌ معنوية

— دعوة الحق —

عميقة، واهتمامٌ كبير، وحكمةٌ بالغة، ومنفعةٌ
كبيرة، ونظمٌ عجيب، وترتيبٌ تام، ورياضةٌ
لا نظير لها؟ لا توجيه لكل ذلك إلا أن هناك
خالقًا كبيرًا، وذلك الخالق هو الذي خلقكم.
وهو الذي جعل لكم الأرض مهادًا، والجبال
أوتادًا، وخلقكم أزواجًا، وجعل نومكم ثباتًا
وراحة، والليل لباسًا، والنهار معاشًا، وخلق
فوقكم سبع سماوات شدادًا، وأضاء فيهن
سراجًا مشتعلًا، وهو الذي أنزل لكم المطر
الغزير، فأنتبت به خضرةٌ وحبّاتٌ وحدائقٌ
مدهمةٌ غلاّبة، كما قال تعالى:

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ

الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ

هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ

الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِيمُ الْعَزِيزُ

— دعوة الحق —

الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ
هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ
الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ
الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾

(الحشر ٥٩: ٢٢-٢٤)

وينصّ القرآن على أن الاعتراف بسيادة
وربوبية هذا الخالق هو شيء تم غرسه في
طبيعة الإنسان منذ الأزل، ويذكر أن هذا
الأمر قد حدث في شكل عهدٍ وميثاق، ويذكر
القرآن هذا العهد كأمرٍ واقعي ثابت.

لقد كان بعث الإنسان إلى هنا للامتحان
والابتلاء، لذلك تم محوتك الحادثة من ذاكرته،
لكن واقعيتها مطبوعة على صفحة قلبه
وراسخة في كامن عقله، لدرجة لا يمكن
لشيء أن يصرفه ويمحوها. ولذا، إذا لم يمنع

— دعوة الحق —

شيء في البيئة من تذكير الشخص بذلك العهد والميثاق، فإنه يقفز نحوه تماماً كما يقفز الطفل نحو الأم، على الرغم من أنه لم ير نفسه يخرج من رحم الأم، ويقفز مع الاعتقاد لو كان يعرفها من قبل. وإنه يشعر أن اعتراف الخالق وإقراره هذا كان استجابةً لحاجة إلى ضرورة طبيعية كانت موجودةً فيه، وقد وجدها الآن، لذلك وجدت جميع متطلباته النفسية مكانها معه. وينص القرآن أن هذه الشهادة للإنسان باطنة قاطعة، لدرجة أنه فيما يتعلق بسيادة الله وربوبيته، فإن الجميع مسؤولون أمام الله على أساس مجرد هذه الشهادة فقط، كما قال تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ

ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ

— دعوة الحق —

أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ
تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا
غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ
قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا
فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ
وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ».

(الأعراف ٧: ١٧٢-١٧٣)

وهذا الاعتراف هو روح هذا الكون.
فعقل الإنسان راضٍ عنه ويطمئن له، وصدره
يكون مطمئنًا للأنوار. فيصرخ قائلاً: لا ريب،
إنه الله، بنوره تضيء هذه الأرض والسموات.
وقال تعالى:

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ
نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ
فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ
يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا

— دعوة الحق —

شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ
لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ تُوَرُّ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ
لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ
لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.

(النور: ٢٤: ٣٥)

يقول الأستاذ الإمام:

"... هذه السماء والأرض، بل هذا
الكون كله، هو عالمٌ من الظلمات وبلاد
الدياجير للشخص الذي لا يؤمن بالله،
أو يؤمن به لكنه لا يقرّ ويعترف بصفاته
وما تقتضيه من الواجبات. فعقل هذا
الشخص لا يستطيع أن يعرف من أين
جاء هذا العالم، ولا يمكنه معرفة ما هو
الغرض والغاية من وجوده. وإنه لا
يستطيع حتى أن يقضي بنفسه ما هو
هدفه من وجوده. هل هو استبدادي

— دعوة الحق —

وحرّ طليق في هذا العالم، أم أنه مقيد
ومقهور؟ هل هو مسؤول أم غير مسؤول؟
ما هو خير له وما هو شر بالنسبة له؟
هل يجب أن يتبع طريق الظلم والقمع
أم طريق العدل؟ هل يجب أن يسعى
وراء مصالحه ورغباته الخاصة أم يعمل
لغرض أعلى ومقصد أسمى من ذلك؟
تعتمد الحياة الصحيحة والناجحة على
الإجابة الصحيحة على هذه الأسئلة.
لكن الشخص الذي لا يؤمن بالله لا
يستطيع أن يجد الجواب والحل الصحيح
لهذه الأسئلة. إنه يتجول ويتخبط مثل
جاموسٍ أعمى في الظلام، ويسقط في
النهاية في هاوية الهلاك والموت، ويصل
إلى مصيره المحتوم. وأما من آمن بالله
واعترف بصفاته الحقيقية، فإنه يحصل

— دعوة الحق —

أيضاً على نهاية هذا الكون، ونهايته أيضاً
تتضح له، كما أنه تتولد له الإجابات
على جميع الأسئلة التي لا يستطيع
غير المؤمن بالله والمتكفر حلها أبداً.
ولهذا السبب لا يبقى هذا العالم مظلماً
ولا بلا دياجير بالنسبة له، فإن نور
الإيمان ينير له كل شيء، وكل جانب
منه يتلأأ ويضيء عليه. فلأن مهما
كانت الخطوات التي يتخذها يتخذها
في ضوء النهار كله، وفي أي اتجاه يسير
فيه، فإن نور الإيمان بالله يرشده. وقد
أوضحت هذه الحقيقة في الآية الكريمة:
﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَنْ
لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾.
ومن حُرم من هذا النور يتخبط في
عالم الظلمات، ولا يمكن لأحدٍ آخر أن

— دعوة الحق —

يعطيه النور. "وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ
نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ."

(تدبر القرآن ٥/٤٠٩)



الأصول والمبادئ

إن طريقنا لفهم الدين يبتني على ثلاثة مبادئ وأصول وهي كالتالي:

الأول أن القرآن هو ميزان للحق والباطل والفرقان بينهما ومهيمن على سلسلة الوحي كلها. أنزل كي يفصل بين الناس فيما اختلفوا فيه من أوامر الدين والشرعية وأن يقوموا على الحق تبعاً لذلك. وقد بين القرآن الكريم مكانته هذه بنفسه. فمما يتفرع من ذلك كأصول ومبادئ هي أمور تالية:

أولاً: إن متن القرآن متعين قطعاً وهو

— دعوة الحق —

الذي ثبت بالمصحف الشريف والذي يتلوه اليوم معظم الأمة المسلمة وسواها بإستثناء بعض المناطق الغربية (في قارة أفريقية) وهذه التلاوة تتبع القراءة المتداولة العامة التي ليست هناك قراءة أخرى سواها تعتبر قرآنا ولا يمكن تقديمها كقرآن.

ثانياً: القرآن قطعي الدلالة. ومعني ذلك أن ألفاظ القرآن صالحة كلياً أن تفضي بالإنسان إلى مدلول ومعنى وضعت له بقطعية تامة إذا قُبل إرشاده. ويقصر الإنسان أحيانا في فهم ذلك بسبب قلة العلم وقلة التدبر. ولا يتعلق ذلك علاقة ما بلسان القرآن وأساليب بيانه. فانه لا يقصر أبداً عن بيان مدلوله.

ثالثاً: إن آيات القرآن كلها محكمة يتوقف هديه وترشيده عليها. وآيات متشابهة هي

— دعوة الحق —

آيات محضة جاءت لبيان نعمة من نعم
الآخرة أو نعمة من نعمها تمثيلاً أو تشبيهاً
أو لبيان شيء أو أمر لعالم من العوالم أو
صفة أو فعل لله تعالى ما وراء العقل والمشاهدة
الإنسانية في أسلوب تمثيلي. ليست هذه
الآيات غير متعينة ولا هي مبهمة وألفاظها
ألفاظ العربي المبين ونفهم معانيها من غير
تردد. ولكن لا سبيل لنا إلى معرفة كنهها
وحقيقتها في هذا العالم ولكن بما أن هذه
المعرفة أو عدمها لا تتصل بالذات بفهم
القرآن ولذا لا نتعرض له.

رابعاً: لا مبدل لحكم القرآن ولا مغير له
من خارج القرآن سواء كان وحياً خفياً أو
جلياً، حتى أن الرسول صلى الله عليه وسلم
الذي عليه أنزل ما كان له ذلك. وكل شيء

— دعوة الحق —

يقبل أو يُرد في ضوء آيات بينات من القرآن نفسه. وكل بحث للعقيدة والإيمان منه يقبل وإليه ينتهي. ويجب أن يكون كل وحي وكل الهام وكل إلقاء وكل تحقيق أو رأي تابعاً له. فإن القرآن من شأنه أن يحكم على كل من أمثال أبي حنيفة والشافعي، والبخاري ومسلم، والأشعري والماتريدي، والجنيد والشبلي على كلهم، ولا يقبل من أي منهم رأي يخالف القرآن أبداً.

هذا عن القرآن أما السنة فإنها رواية للدين الإبراهيمي الذي أجراه الرسول صلى الله عليه وسلم بعد إصلاحها وتجديدها ومع بعض الإضافات إليها في أتباعه. وقد أمر في القرآن باتباع ملة إبراهيم عليه السلام فهذه الرواية أيضاً جزء من تلك الملة، لا

— دعوة الحق —

فرق بينه وبين القرآن من حيث الثبوت.
فكما أن القرآن بلغنا بطريق إجماع الصحابة
وتواترهم العملي فإن هذه أيضا وصلتنا
بإجماعهم وتواترهم العملي في كل عصر و
مصر فلا تسع لنزاع ونقاش فيها.

والثالث أن الدين إنما هو الذي بينه القرآن
والسنة فقط. وماعدا ذلك ليس بدين ولا
يقال له إنه دين. أما أخبار الآحاد التي تتصل
بقول النبي صلى الله عليه وسلم وفعله
وتقريره والتي يقال لها "الحديث" عموماً
فإنها لا تضيف عقيدة وعملاً إلى الدين.
وأشياء متعلقة بالدين التي جاءت في هذه
الأخبار هي في الواقع تفهيم وتبيين للدين
المحصور في الكتاب والسنة. كما هو بيان
أيضاً للأسوة السنة النبوية للعمل والتطبيق

— دعوة الحق —

عليه. فهذه هي دائرة للحديث. وخارج هذه
الدائرة فلا يكون شيء حديثاً ولا يقبل محضاً
بناءً على الحديث.

ولكن تقوم حجة الحديث في هذه الدائرة
على كل شخص يقبل الحديث من حيث
كونه قولاً أو فعلاً أو تقريراً وتصويماً لرسول
الله صلى الله عليه وسلم بعد الإطمئنان
الكامل لصحته. فلا يجوز له الانحراف من
الحديث بعد ذلك بل يجب عليه أن يدعن
ويستسلم له إذا جاء فيه حكم أو أمر لرسول
الله صلى الله عليه وسلم.



الدين الحق

إذا أردنا بيان حقيقة الدين في لفظة واحدة فهو عبادة الله تعالى في مصطلح القرآن فما يشاء خالق العالم أصلاً من عباده هو عبادته فقال تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا

لِيَعْبُدُونِ﴾. (الذاريات ٥١: ٥٦)

وقد أبان القرآن في أكثر من مقام أن الله تعالى قد أرسل رُسله إلى الناس لإعلامهم بهذه الحقيقة فقد قال:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ

— دعوة الحق —

اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ^٩.

(النحل ١٦: ٣٦)

فما هو معنى العبادة هذه؟ يتضح ذلك إذا تدبر من هذه الآية نفسها من سورة النحل فإنها تأمر باجتنب الطاغوت في مقابلة عبادة الله وحده، وقد استعمل "الطاغوت" و"الشيطان" في القرآن في المعنى المترادف، فالطاغوت هو من يستكبر و يتمرد على الله سبحانه، وضد ذلك هو العبودية والذل كما هو ظاهر. فمعنى العبادة عند أئمة اللغة هو: أصل العبودية الخضوع والتذل^٩. وهذا الشيء إذا حصل مع الشعور الصحيح لرحمة الله وقدرته وربوبيته وحكمته اختار صورة التذل الشديد أمام

^٩ لسان العرب ١٠/٩.

— دعوة الحق —

الله مع حبه الشديد وخوفه الكبير. وجاءت ألفاظ كثيرة من القرآن للتعبير عن هذا الكيفية الداخلية التي تتولد في داخل الإنسان وتحيط بوجوده كلمه من أمثال: الخشوع والخضوع والإنابة والخشية والتضرع والقنوت وغيرها. كما أن التعبيرات الذكر والشكر والتقوي والإخلاص والتوكل والتسليم والتفويض والرضا كلها مظاهر باطنية للعلاقة بين العبد ومعبوده. ومعنى ذلك أن العبد في هذه العلاقة مع الله تعالى يطمئن قلب بذكره ويشهد في نفسه أن مشاعر الشكر والامتنان له تتصاعد كالسيل الطامي، ويخاف من سخطه ويكون له كله ويعيش توكلاً عليه، ويسلم إليه كل أموره وكل وجوده، ويرضى بقضائه فيه. وجاء القرآن بتصوير هذه المظاهر لظهور علاقة

— دعوة الحق —

العبد لله سبحانه بقوله:

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا
بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ
رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ. تَتَجَافَى
جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ
خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

(السجدة ٣٢ : ١٥-١٦)

فهذا الركوع والسجود والتسبيح والتحميد
والدعاء والمناجاة والتضحية في سبيل الله
رضاءً للرب تعالى هذا هو أصل العبادة.
ولكن بما أن الإنسان له وجود فعلي تطبيقي
أيضاً في هذا العالم وانطلاقاً منه. فإن هذه
العبادة تتعلق بالوجود العملي له وهكذا
تشتمل مع مظهر العبودية مظاهر الطاعة
له. فحينئذ تتطلب من الإنسان أنه يجب
أن يخضع ظاهره كما قد خضع له باطنه،

— دعوة الحق —

ويجري ذلك على ظاهر الإنسان كما قد جرى في باطنه حتى لا يستثنى منه جانب من جوانب حياة الإنسان، وفي تعبير آخر يكون العبد لله في كل معنى الكلمة كما قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا

وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ

تُفْلِحُونَ﴾. (الحج ٢٢: ٧٧)

وهذه العبادة إذا تقوم بتعيين الأساسات ما بعد الطبيعية والأخلاقية وتعيين المراسم وتقرر الحدود والقيود لإحسان العلاقة بين العبد وربّه، ولتكميل مقتضيات هذه العلاقة في الدنيا فيعبر ذلك بتعبير القرآن بالدين. وصورة هذا الدين التي قد أوضحها الله بطريق أنبيائه يسميها القرآن "الدين" ويهدي العباد أن يقيموه وأن لا يتفرقوا فيه كما

— دعوة الحق —

جاء في سورة الشورى: ^{١٠}

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ
نُوحًا، وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ، وَمَا
وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ
أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾.

(٤٢: ١٣)

والأساسات ما بعد الطبيعية والأخلاقية
التي جاءت لدين الله هذا، لهذه "العبادة"
يعبرها القرآن بـ "الحكمة" ومراسمها وحدودها
وقيودها بـ "الكتاب" أي القانون والتشريع
كما جاء:

﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ

^{١٠} أي قوموا عليه على كل حال. وهذا هو
المفهوم الصحيح لإقامة الدين. انظر للاستزادة
فيه بحثنا "الخطأ في التاويل" في كتابنا البرهان.

— دعوة الحق —

وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ، وَكَانَ فَضْلُ

اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ (النساء ٤: ١١٣)

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا

أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ،

يَعُظُّكُمْ بِهِ، وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ

بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾ (البقرة ٢: ٢٣١)

ويعبر هذا الكتاب "بالشريعة":

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ

فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا

يَعْلَمُونَ﴾ (الجاثية ٤٥: ١٨)

ولا زالت الحكمة واحدة ولكن الشريعة

ما زالت تتغير بتغير التمدن الإنساني و

الرقى فيه. كما قال:

﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا،

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾.

(المائدة ٥: ٤٨)

— دعوة الحق —

ويُعلم من دراسة الكتب الإلهامية أن التوراة تذكر الشريعة في الأكثر والإنجيل تذكر الحكمة. والزبور هو مزمور لتمجيد الرب تعالى في تمهيد تلك الحكمة، والقرآن نزل ببيان رائع أدبي جامع لكليهما، وكصحيفة الإنذار والبشارة، كما جاء ذلك بصورة واضحة في الآيات من البقرة والنساء التي مرت آنفاً، أما التوراة والإنجيل فقد قال الله تعالى فيهما في موضع متحدثاً عن كلامه لسيدنا المسيح عليه السلام في القيامة:

﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ،

وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾. (المائدة ٥: ١١٠)

والحكمة أساسياً تبحث عن مباحث

تالية:

أولاً الإيمانيات؛

وثانياً الأخلاقيات.

— دعوة الحق —

والمباحث التي جاءت تحت عنوان الكتاب هي كالتالي:

- ١- قانون العبادات ٢- قانون الاجتماع
- والعشرة ٣- قانون السياسة. ٤- قانون المعيشة.
- ٥- قانون الدعوة. ٦- قانون الجهاد. ٧-
- الحدود والتعذيرات. ٨- أحكام الأكل والشرب.
- ٩- التقاليد والآداب. ١٠- أحكام القسم
- وكفارته.

فهذا هو الدين في مجموعه. ورسل الله الذين جاؤوا بهذا الدين هم أنبياء الله و يفيد القرآن أن بعضهم فازوا بمرتبة الرسالة أيضاً مع منصب "النبوة".

والنبوة عبارة عن وصول شخص منتخب من بني آدم للوحي من السماء. ولبشارة الناس بالعاقبة الحسنی للذين يؤمنون به وتحذيره

— دعوة الحق —

الناس وإنذارهم بالعاقبة السيئة لمن يكفرون به. ويعبر القرآن ذلك بالإنذار والتبشير. كما قال:

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ، مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾.

(البقرة ٢: ٢١٣)

والرسالة أن يأتي نبي إلى قومه كمحكمة إلهية أن إذا كذبه قومه نفذ عليه قضاء الله المبرم في هذه الدنيا، وتقوم غلبة الحق على قومه كما قال تعالى:

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ، فَإِذَا جَاءَ رَّسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ، وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾. (يونس ١٠: ١٤٧)

وقال في موضع آخر:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ،

— دعوة الحق —

أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ. كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ
أَنَا وَرُسُلِي، إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٠﴾.

(المجادلة ٥٨ : ٢٠-٢١)

فهذا هو قانون الرسالة الذي قال عنه
القرآن بالإشارة إلى النبي صلى الله عليه وسلم
خاصةً فقال:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى
وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَلَوْ
كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾. (الصف ٦١ : ٩)

وتكون صورته أن ينتخب الله رُسله
لإظهار دينوته وتقوم القيامة الصغرى
قبل القيامة الكبرى على الأرض. وينبه
مخاطبوهم أنهم إذا قاموا بميثاقهم مع الله
سبحانه يُجزون عليه جزاءً خيراً وإن انحرفوا
منه عوقبوا عليه في هذه الحياة الدنيا. و
كنتيجةً لذلك القضاء الإلهي يكون وجود

— دعوة الحق —

رُسل الله آيةً إلهيةً حيةً في الناس فالناس كأنهم يرون الله تعالى معهم، يمشي معهم ويقوم بالحكم. ويؤمر رُسل الله أنهم بما رأوا من آيات الله برأس أعينهم فعليهم أن يبلغوا على أساسها رسالات الله إلى قومهم تامةً قاطعةً. فهذه هي "الشهادة" في تعبير القرآن. إذا قامت تكون سبباً لقضاء الله في الدنيا والآخرة. فيغلب الله رُسله هؤلاء على قومهم وينزل عذابه على منكري دعوتهم، وانطلاقاً من ذلك فقد قال القرآن عن النبي صلى الله عليه وسلم إنه شاهد وشهيد:

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا، شَاهِدًا عَلَيْكُمْ، كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾.

(المزمل ٧٣: ١٥)

ومنصب الشهادة هذا قد تم إعطاؤه

— دعوة الحق —

لذرية سيدنا إبراهيم عليه السلام أيضاً علاوةً على الرُّسل. ومن هنا سماهم القرآن أمةً وسطًا بين رسل الله وعباده^{١١}، وتحدث عنهم أنهم قد انتخبوا لهذا المنصب الجليل كما قد تم انتخاب بعض الشخصيات الجليلة من بني آدم للنبوة والرسالة فقال:

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ،

هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ

حَرَجٍ، مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ، هُوَ سَمَّاكُمُ

الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ

الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ

عَلَى النَّاسِ﴾. (الحج ٢٢: ٧٨)

وقد أنزل الله تعالى كتبه مع أنبيائه

ورسله عامةً. وبين القرآن أن إنزال الكتب

^{١١} البقرة ٢: ١٤٣.

— دعوة الحق —

يهدف إلى أن تكون ميزاناً للحق والباطل
حتى يحكم الناس في خلافاتهم بهذه الكتب
ويكونون قائمين بالقسط فقال تعالى:

﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ
بَيْنَ النَّاسِ فِيْمَا اخْتَلَفُوا فِيْهِ﴾.

(البقرة ٢: ٢١٣)

وقال:

﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ
لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾.

(الحديد ٥٧: ٢٥)

وابتدأت سلسلة النبوة هذه من آدم عليه
السلام واختتمت على النبي صلى الله عليه
وسلم، فبرحيله من الدنيا قد انسد باب
الوحي والإلهام إلى الأبد واختتمت النبوة
عليه كما جاء في سورة الأحزاب (٤٠).

— دعوة الحق —

فالعلماء بعد النبي صلى الله عليه وسلم هم
المسؤولون إلى يوم القيامة بإقامة الناس على
الدين، ويقومون بفريضة "الإندار" كما جاء
في سورة التوبة:

﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً،
فَلَوْ لَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ
لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا
رَجَعُوا إِلَيْهِمْ، لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾.

(التوبة ٩: ١٢٢)

وقد فرض الله تعالى أن هذا الإندار يكون
بوسيلة القرآن فقال: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ
يَخَافُ وَعَبِيدِ﴾^{١٢} وقال: ﴿جَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا
كَبِيرًا﴾^{١٣} وبناءً عليه فإن رسول الله صلى

^{١٢} ق ٥٠: ٤٥.

^{١٣} الفرقان ٢٥: ٥٢.

— دعوة الحق —

الله عليه وسلم هو الآن نذير للعالمين جميعاً
والعلماء بدورهم ليسوا إلا نائبين له، في
عملية الإنذار قال تعالى:

﴿وَأَوْحِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ

بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾. (الأنعام ٦ : ١٩)

وقال:

﴿تَبَرَّكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَيَّ عَبْدِهِ

لِيَكُونَ لِلْعَلَمِينَ نَذِيرًا﴾. (الفرقان ٢٥ : ١)

فهذا الدين هو الإسلام والذي قد قال الله

عنه في كتابه إنه لا يقبل من بني آدم ديناً

غيره قال:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ...

وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ

مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾.

(آل عمران ٣ : ١٩، ٨٥)

— دعوة الحق —

ولفظ الإسلام كما هو مستعمل لدين الله
كاملاً يستعمل كذلك لظواهر الدين. وهو
بظاهره هذا عبارة عن أشياء خمسة آتية:

١ - شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً
عبده ورسوله.

٢ - أن تقام الصلاة.

٣ - وتؤتي الزكاة.

٤ - وأن يُصام صوم رمضان.

٥ - وأن يُحج بيت الله الحرام.

والقرآن يؤكد لها في أكثر من مقام كما
ذكرت كلها مجموعة في حديث لرسول الله
صلى الله عليه وسلم بلفظ آت:

"الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله

وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة

وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج

— دعوة الحق —

البيت. " (مسلم، رقم ٩٣)

وباطن الدين "الإيمان" وهو بدوره أيضًا

عبارة عن أشياء خمسة فصلها القرآن وهي:

١ - الإيمان بالله

٢ - الإيمان بالملائكة

٣ - الإيمان بالأنبياء

٤ - الإيمان بالكتب

٥ - الإيمان بيوم الجزاء

فجاء في سورة البقرة:

﴿أَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ

وَالْمُؤْمِنُونَ، كُلٌّ أَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ

وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ

رُسُلِهِ، وَقَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، غُفْرَانِكَ

رَبَّنَا، وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾. (٢: ٢٨٥)

وقد أشمل فيها النبي صلى الله عليه

— دعوة الحق —

الإيمان بالقدر، خيره وشره، وهو أصلاً فرع

للإيمان بالله، ثم بين الإيمانيات كالتالي:

"الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته

وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر

خيره وشره." (مسلم، رقم ٩٣)

وهذا الإيمان إذا ثبت في القلب حقيقةً

والقلب يصدقه فوجوده يقتضي شيئين:

الأول العمل الصالح؛

والثاني التواصي بالحق والتواصي بالصبر.

كما قال:

﴿وَالْعَصْرِ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ،

إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ،

وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

(العصر ١٠٣: ١-٣)

والعمل الصالح كل عمل يتولد كنتيجة

— دعوة الحق —

لتزكية الأخلاق. وأسسها كلها ثابتة بالعقل والفطرة، وقد نزلت شريعة الله لتهدي الإنسان للعمل الصالح هذا.

أما التواصي بالحق والتواصي بالصبر فأريد به أن يأمر الإنسان بعضه بعضاً بالثبات على الحق والتناصح له. وهذا مما يقتضيه التسليم للحق اقتضاءً بديهاً وقد عبر القرآن بمصطلح "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" أيضاً. أي تلقين الناس في البيئة القريبة بمعروفات يدل عليها العقل والفطرة ونهي الناس عن منكرات عقلية وفطرية. فقال تعالى:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ
عَنِ الْمُنْكَرِ﴾. (التوبة ٩: ٧١)

— دعوة الحق —

وهكذا، من الضروري أيضاً أنه إذا تمكّن المسلمون في أي مكان من العالم من الوصول إلى السلطة، أن يُعيّن من بينهم أناس بشكل رسمي للقيام بهذا العمل. وقد قال تعالى:

﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

(آل عمران ٣: ١٠٤)

هذه المسؤولية، بطبيعة الحال، ستؤدي في بعض الأمور عن طريق الدعوة والتوجيه، وفي بعض الأمور الأخرى عن طريق قوة القانون.^{١٤} أما الصورة الأولى، فلها منبر

^{١٤} المقصود بذلك الأحكام التي وُجّهت إلى المجتمع المسلم. وعلى خلاف ذلك، فإن

— دعوة الحق —

الجمعة، الذي خُصَّص لهذا الغرض لأهل
الحل والعقد، وأما الصورة الثانية، فلها جهاز
الشرطة، الذي يُنشأ في حكومة المسلمين
للقيام بهذه المسؤولية نفسها.

وكل مسلم مسؤول عن الإتيان بهذا
الاقتضاء بباعث النصح والخير. فإنه لا
تم هذه المسؤولية بدون هذا الشعور

الأحكام التي وُجِّهت إلى الفرد بوصفه فرداً،
فإن أمرها بين الله وعباده، وهو في هذه
الأمر ليس مسؤولاً أمام الحكومة أو القانون،
وإنما هو مسؤول أمام ربّه وحده. وفي مثل
هذه الأمور، لا تملك أي حكومة من
الصلاحيات أكثر من التعليم والتربية والتوجيه
والنصيحة، إلا إذا وُجدت خشية من ضياع
حق أحد، أو وقوع اعتداء على نفس أو مال
أو عرض.

— دعوة الحق —

وبغير روح صحيح للدين. فقد قال النبي
صلى الله عليه وسلم:

"الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله،

ولأئمة المسلمين وعامتهم."

(مسلم، رقم ١٩٦)

فهذه هي مطالبات الإيمان من المسلمين
في الحالات العامة. ولكن ربما تطرأ على
الإنسان حالات خاصة نظراً إلى الأوضاع
الخارجية في هذا العالم. فبرعايتها تتولد
مطالبات ثلاثة أخرى غيرها للإيمان وهي
كما يأتي:

الأول الهجرة؛

والثاني النصر؛

والثالث القيام بالقسط.

فإن كان المؤمن يواجه صعوبات خطيرة

— دعوة الحق —

في القيام بعبادة الرب تعالى. إنه يُعذب لأجل دينه ولا يمكن له حتى إظهار إسلامه فحينئذ يقتضي منه إيمانه أن يهاجر من مكانه إلى مقام آخر، يمكن له فيه أن يعمل بدينه علانيةً. ويسميه القرآن الهجرة. وحينما دعي الناس إلى الهجرة مباشرةً من الله ورسوله في الزمان الرسالي فوعد القرآن بجهنم الذين يُعرضون عن الهجرة. كما جاء في سورة النساء:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي
أَنْفُسِهِمْ، قَالُوا: فِيمَ كُنْتُمْ؟ قَالُوا: كُنَّا
مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ. قَالُوا: أَلَمْ تَكُنْ
أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا،
فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾.
(٤: ٩٧)

— دعوة الحق —

وبهذه الطريقة إذا كان الدين يحتاج إلى إقدام لنشر دعوته أو حفظ كيانه فيطلب الإيمان أن يُنصر الدين بالمال والنفس. ويعبر القرآن هذه العملية بنصرة الدين. فلما احتاج الرسول صلى الله عليه وسلم إلى نصرة الدين بعد أن قامت سلطته في المدينة المنورة وطلب من الناس أن يقوموا بالجهاد والقتال، فدعا هم القرآن إلى ذلك على موقعة بأسلوب آتى وقال:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ؟ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ، ذَلِكَُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ، إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ. يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ

— دعوة الحق —

عَدْنِ، ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. وَأُخْرَى
تُحِبُّونَهَا، نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ،
وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ. يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، كُونُوا
أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
لِلْحَوَارِيِّينَ: مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ
الْحَوَارِيُّونَ: نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ﴿١٠-١٤﴾.

(الصف ٦١: ١٠-١٤)

ومهما حصلت من جهود تجديدية
وحرركات إصلاحية لحفظ الدين وبقائه في
السلف والخلف، قامت كل ذلك وفاءً
بهذا المقتضى الديني. فهذه النصره هي
المأخذ لكل الجهود الإصلاحية لساناً
وقلماً، سيفاً وساناً ودرهماً وديناراً في
تاريخ الأمة كلها. ويطلب القرآن إنه إذا
حان وبدا هذا المقتضى للإيمان فلا يعز
على عبد مؤمن أي شيء دنيوي مقابلاً

— دعوة الحق —

له. ولذا قال القرآن عندما بدت هذه المرحلة في الدعوة المحمدية فقال:

﴿قُلْ: إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ
وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ
وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ
كَسَادَهَا وَمَسْكِنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ
إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي
سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ،
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

(التوبة ٩: ٢٤)

ثم إذا جاءت العواطف البشرية والتعصبات
والمصالح والأهواء تحرفه من جادة العدل
والإنصاف في أية معاملة للدنيا والآخرة،
فهذا الإيمان نفسه يتقاضاه أن العبد المؤمن
وليس فقط ما يزال يقوم على الحق و

— دعوة الحق —

العدل، بل إذا طلبا منه الشهادة أنجز طلبهما بتضحية النفس والنفيس في سبيل ذلك. يقول بالحق ما دام حياً ويسلم للحق وينصف، ويشهد له ولا يختار أي شيء سوى الحق والإنصاف عقيدة وعملاً. وهذا هو القيام بالقسط في مصطلح القرآن. قال تعالى في ذلك:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، كُونُوا قَوِّمِينَ
بِالْقِسْطِ، شُهَدَاءَ لِلَّهِ، وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ
أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ، إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ
فَقِيرًا فَإِنَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا، فَلَا تَتَّبِعُوا
الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا، وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تَعْرِضُوا
فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

(النساء ٤: ١٣٥)

وقال في موضع آخر:

— دعوة الحق —

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، كُونُوا قَوْمِينَ
لِلَّهِ، شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ، وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ
شَنَاةُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا، إِعْدِلُوا هُوَ
أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ، وَاتَّقُوا اللَّهَ، إِنَّ اللَّهَ
خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾. (المائدة ٥ : ٨)

إن المقصد الذي يهدفه هذا الدين هو
"التزكية" في مصطلح القرآن. والتزكية يعني
تربية فكر الإنسان وإنماء عمله إنماءً صحيحاً
بطريق تزكية حياته الفردية والاجتماعية.
والقرآن يؤكد في أكثر من موضع أن الجنة
المعلاة والمُلك الخالد الذي وصفه القرآن
بحالة "راضية مرضية" هما نصب عينيه.
ويضمن القرآن للوصول إلى ذلك الفوز العظيم
لمن يزكى نفسه في هذه الحياة الدنيا فقال:
﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ

— دعوة الحق —

فَصَلِّ. بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، وَ
الْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى». (الأعلى ٨٧: ١٤-١٧)

وعليه فالتركية هي الغاية التي يرمي
إليها الإنسان والمقصد الذي تم لحصوله
بعث الأنبياء والرسل، وقد نزل الدين كله
لكي يرشد الإنسان لبلوغ ذلك المقصود
ولوصول تلك الغاية كما قال تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِّ رَسُولًا
مِّنْهُمْ، يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَ
يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾.

(الجمعة ٦٢: ٢)

والطريقة التي يجب على متبعي هذا الدين
للعمل به هي طريقة الإحسان. والإحسان
أن تأتي بعمل على أحسن وجهه. فإذا حصل
عمل ما مقرون فيه بالإحسان روحًا وقالباً

— دعوة الحق —

باتزان كامل. وبرعاية كل أجزائه رعايةً
تامةً ويعتبر الإنسان أثناء ذاك العمل كأنه
في الحضرة الإلهية فهناك يتم الإحسان.
كما قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ
وَجْهَهُ لِلَّهِ، وَهُوَ مُحْسِنٌ، وَاتَّبَعَ مِلَّةَ
إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾. (النساء ٤: ١٢٥)

وقد أوضح الإحسان النبي صلى الله
عليه وسلم في أسلوبه البليغ كما يلي:
"الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه،
فإن لم تكن تراه فإنه يراك."

(مسلم، رقم ٩٣)



الإسلام والدولة

إن الوضع الحالي الذي أوجدته بعض المنظمات المتطرفة المحسوبة على الإسلام، للمسلمين في العالم من خلال أعمالها وتحركاتها هو نتيجة نفس التفكير الذي يتم قرآته وتدرسه في مدارسنا الدينية، والذي تروجه الحركات الإسلامية والأحزاب الدينية السياسية ليلا ونهارا. وبالمقابل له ما هي النظرة الصحيحة للإسلام؟ إنه في الواقع رؤية مضادة له، وقد قلنا مرارًا وتكرارًا أنه إذا تم إحداث الفوضى المبتنية على الدين

— دعوة الحق —

في المجتمع الإسلامي ، فليس علاجه دعوة للعلمانية، ولكن يمكن تصحيح الوضع عن طريق تقديم رؤية مضادة للفكر الديني. وليس هذا هو الوقت المناسب للخوض في التفاصيل ،ولكن إليكم ملخص الجزء من هذا الفكر يتعلق بالإسلام والدولة.

١- دعوة الإسلام هي أساساً للفرد. فإنه يريد أن يثبت حكمه على قلب الفرد وعقله. والأوامر التي أعطاها للمجتمع موجهة أيضاً إلى أولئك الذين يقومون بمسؤولياتهم بصفتهم أهل الحل والعقد في المجتمع الإسلامي. لذلك فإن الفكرة أنه للدولة أيضاً دين وأنها بحاجة أيضاً إلى أسلمتها من خلال قرارها داف مقاصدي، وجعلها ملزمة دستورياً بعدم إيجاد قانون

— دعوة الحق —

ضد القرآن والسنة ،هي فكرة لا أساس لها من الصحة تماماً. و الذين تقدموا بهذه الفكرة ونجحوا في إقناع البرلمان لها قد وضعوا الأساس للافتراق الدائم في الدول القومية لهذا الزمان، وأرسلوا رسالة إلى غير المسلمين الذين يعيشون هناك بأنهم في الحقيقة مواطنون للدرجة الثانية. وهم في وضع الأقلية المحمية على أكثر حد، وفي مكانتهم هذه يمكن لهم المطالبة بأي حق من الحقوق من المالكين الأصليين للدولة إذا استطاعوا.

٢- وأنه للدول ذات الأغلبية المسلمة أن تشكل الولايات المتحدة الخاصة بها يمكن أن يكون هذا حلما لكل واحد منا، ويمكننا أن نبذل الجهود أيضاً لتحقيق هذه الامنية،

— دعوة الحق —

ولكن لا يوجد أساس لفكرة أن ذلك من أوامر الشريعة الإسلامية وأن المسلمين يرتكبون خطيئة إذا لم يحققوا ذلك، بالتأكيد لا. والخلافة ليست مصطلحاً دينياً، وتأسيسها عالمياً ليست فريضة من فرائض الإسلام. فإنه بعد القرن الأول الهجري نفسه، عندما كان من بينهم فقهاء المسلمين العظام، تم تأسيس دولتين مسلمتين مستقلتين، دولة للسلالة العباسية في بغداد ودولة لبني أمية في الأندلس، واستمرتاً قرونًا عديدة ، لكن لم يفتِ ذاك أحد من الأئمة والعلماء أنه انتهاك لأي حكم من أحكام الشريعة الإسلامية ، لأنه لا يوجد حكم في القرآن والحديث في هذا الأمر. وعلى العكس من ذلك، فقد قال الجميع - و

— دعوة الحق —

نقول أيضاً - إنه إذا قام النظام الجماعي للمسلمين في أي مكان وثبت، فإن تركه والخروج عليه هو أبشع جريمة قال عنها النبي صلى الله عليه وسلم: من خرج قيد شبرة منه فقد مات ميتة جاهلية.^{١٥}

٣- وأساس الجنسية لدولة إسلامية ليس هو الإسلام نفسه كما هو مفهوم بشكل عام. فإنه لم يذكر في القرآن والحديث أن المسلمين أمة واحدة بالمصطلح المعاصر أو ينبغي أن يكونوا أمة واحدة، ولكن يقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^{١٦} مطابقاً للقرآن، فإن العلاقة بين المسلمين ليست علاقة

^{١٥} بخاري، رقم ٧٠٥٣-٧٠٥٤.

^{١٦} الحجرات ٤٩: ١٠.

— دعوة الحق —

جنسية، بل علاقة أخوية. وعلى الرغم من تقسيمهم إلى عشرات الدول والبلدان والدويلات، إلا أنهم إخوة بالإيمان لذلك يمكن أن يطلب من المسلمين أن يكونوا على وقوف تام بحالة إخوانهم، وان يمدوا يد العون والمساعدة في متاعبهم ومعاناتهم، وان يقفوا لهم لمساعدتهم عند الاضطهاد، وان يعطوا لهم الأولوية في العلاقات الاقتصادية والاجتماعية. وان لا يقفلوا أبوابهم عليهم تحت أي ظرف من الظروف، لكن لا يمكن مطالبتهم بالتخلي عن دولهم القومية وهويا تهم الوطنية وأن يصبحوا أمة واحدة ودولة موحدة. ومثلما يمكنهم إنشاء دولهم القومية المنفصلة، كذلك إذا كان لديهم حرية ممارسة الدين والشريعة، يمكنهم

— دعوة الحق —

التعايش في دول غير مسلمة كمواطنين وكأمة على أساس الوطن. لا شيء من هذا غير قانوني وفقا للقرآن والحديث.

٤- ومسلمو العالم الذين يعترفون بأنهم مسلمون وليس ذلك فقط بل يصرون على ذلك، لكنهم يتبنون معتقداً أو ممارسة لا يعتبرها أي عالم أو علماء أو جميع المسلمين صحيحة، أو اعتقادهم أو ممارستهم خاطئة. ويمكن أن يطلق عليه زيع وضلال، ولكن بما أن أصحابه يستدلون له من القرآن والحديث بذاتهما، فلا يمكن تسميتهم بغير المسلمين أو أنهم أصبحوا كفارا. وحكم الله في كل هذه المعتقدات والممارسات أنه ينبغي الانتظار للبت فيها ليوم القيامة. فأصحاب هذه المعتقدات في العالم

— دعوة الحق —

مسلمون حسب معتقداتهم ، وسيعتبرون مسلمين وكل التعامل معهم سيكون كما هو مع أي فرد من أفراد المجتمع المسلم. نعم يحق للعلماء أن يكشفوا لهم عيوبهم وأخطاءهم، وإن يدعوهم لقبول الصواب، وإذا كان هناك شيء من الشرك والكفر في عقائدهم ومعتقداتهم، فللعلماء أن يسمونه بالشرك والكفر، ويحذرون الناس من ذلك، ولكن القرار بأنهم لم يبقوا مسلمين منذ اليوم أو أن ينفصلوا عن مجتمع المسلمين ليس حقًا لأحد، لأن هذا الحق لا يمكن أن يمنحه إلا الله وكل من له إمام بالقرآن والحديث يعلم أنه لم يمنح هذا الحق لأي شخص.

٥- إن الشرك والكفر والردة هي بالتأكيد

جرائم خطيرة، لكن لا أحد يستطيع أن

— دعوة الحق —

يعاقبها. هذا حق الله، ويعاقبهم يوم القيامة ويعاقبهم في الدنيا أيضاً إذا شاء. والقيامة ليست في معرض البحث هنا، أما الدنيا، فالحال في الدنيا أن الله تعالى إذا قرر ظهور عدالته في أمة أرسل رسوله إليها. وهذا الرسول -بدوره- يقوم بحجة كاملة علي هذه الأمة، حتى لا يكون لدى أحد عذر يعرضها أمام الله. وبعد ذلك يصدر قرار الله لمن يصر على الكفر بعد الانتهاء من هذه الحجة أن يعاقب في الدنيا. و هذه سنة إلهية جاءت في القرآن على النحو التالي: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^{١٧} فهذا نوع خاص بنحو ما جاء

^{١٧} يونس ١٠: ٤٧.

— دعوة الحق —

في قصة قربان إسماعيل وقصة الخضر عليه السلام، لعللاقة له بالناس العاديين. فكما أننا لا نستطيع اقتحام قارب فقير لمساعدته بدون إذنه، وكما لا يمكننا قتل طفل رأيناه يعصي لوالديه، وكما لا يمكننا وضع سكين في حلق ولدنا بناء على رؤيا رأيناه كفعل إبراهيم عليه السلام، فلا يمكننا معاقبة إنسان لشركه أو كفره أو ارتداده كذلك، إلا إذا جاء الوحي وأمره الله بذلك مباشرة عن طريق أحد رسله. ويعلم الجميع أن بابه بعد النبي صلى الله عليه وسلم منسد مغلق إلى الأبد.

٦- لا شك أن الجهاد هو حكم الإسلام. يطالب القرآن مؤمنيه بمحاربة الظلم و العدوان إذا كانت لديهم القوة. وإرشادات

— دعوة الحق —

القرآن عن الجهاد موجهة أصلاً لمكافحة الفتنة. والفتنة تعني بمصطلح القرآن محاولة إبعاد الإنسان عن دينه بالقمع هذا ما يسمى بالاضطهاد في اللغة الإنجليزية. ويعرف أهل العلم والنظر أن المسلمين قد أعطوا هذه الوصية وهذا الحكم ليس كفرد بل كمجموعة. فإن الآيات التي جاءت عن ذلك في القرآن ليست موجهة إليه بصفته الشخصية. لذلك فإن نظامهم الجماعي له الحق في اتخاذ أي إجراء في هذا الشأن. ولا يحق لأي فرد أو مجموعة داخل المجتمع المسلم أن يشنوا الحرب نيابة عنهم. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم على هذا الأساس: أن الإمام جنة يقاتل من ورائه.^{١٨}

^{١٨} بخاري، رقم ٢٩٥٧.

— دعوة الحق —

٧- إن الجهاد الذي يأمر به الإسلام هو حرب في سبيل الله، فلا يمكن القيام به دون مراعاة الحدود الأخلاقية. والأخلاق لها الأسبقية على كل شيء وفي كل شيء، وحتى في حالة الحرب لم يسمح الله تعالى لأحد بالخروج عنها. لذلك فمن المؤكد تمامًا أن الجهاد لا يكون إلا مع المقاتلين. وشرعية الإسلام أنه إذا هاجم شخص باللسان، فالجواب يكون باللسان، وإذا قدم الدعم المالي للمقاتلين، فسيتم إيقافه من المساعدة المالية، ولكن لا يقتل حتى يحمل السلاح، حتى وفي ساحة المعركة، إذا أسقط سلاحه، يتم أسره، وبعد ذلك لا يمكن قتله. ومن الآيات القرآنية التي تأمر بالجهاد قوله تعالى: ﴿ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

— دعوة الحق —

الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَ لَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩﴾ والنبي صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل النساء والأطفال أثناء الحرب.^{٢٠} والسبب في ذلك أن النساء و الاطفال حتى لو خرجوا مع المقاتلين فهم لا يقاتلون عادة، وانما يمكنهم تحفيز المقاتلين قدر الإمكان و تشجيعهم على القتال بألسنتهم فقط.

٨- وقبل قرون من المفكرين الغربيين المعاصرين، فقد أعلن القرآن أن ﴿أَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾^{٢١} (النظام الجماعي للمسلمين سوف يقوم على التشاور المتبادل بينهم) يعني

^{١٩} البقرة ٢: ١٩٠.

^{٢٠} بخاري، رقم ٣٠١٥، مسلم، رقم ١٧٤٤.

^{٢١} الشورى ٤٢: ٣٨.

— دعوة الحق —

بوضوح أن حكم المسلمين يجب أن يؤسس بناءً على تشاورهم وتناصحهم. وأن يأتي النظام إلى حيز الوجود من خلال التشاور. لكل فرد حقوق متساوية في إعطاء مشورته. وكل ما يبنى بالمشورة يمكن كسره أيضًا بالمشورة. فإن رأي كل شخص سيكون جزءًا من وجوده. فلذلك، إذا لا يمكن التوصل إلى نتيجة حتمية في قضية ما، يقبل حكم الأكثرية فيها ولكن لا يمكن قبول الديكتاتورية، سواء أكانت من عائلة أو طبقة أو من مجموعة أو مؤسسة وطنية، تحت أي ظرف من الظروف، ولا حتى من قبل خبراء العلوم الدينية، المتعلقة بالإدارة الجماعية. بالتأكيد لهم الحق في التعبير عن آرائهم والتوضيح لأفكارهم، لكن

— دعوة الحق —

موقفهم لن يصبح قانوناً يُتبع للشعب إلا عندما يتم قبوله من قبل غالبية الممثلين المنتخبين للشعب.

وفي الدولة الحديثة مؤسسة البرلمان هي نفسها تقوم بهذه العملية ولهذا العمل تقام. فالقرار النهائي في نظام الدولة هو للبرلمان فقط ويجب أن يكون له. نعم للناس الحق في انتقاد قرارات مجلس النواب ومحاولة توضيح أخطائهم، لكن لا يحق لأحد أن ينتهكها ويتمرد عليها. ولا أحد يستطيع أن يكون أعلى من البرلمان سواء كان علماء أو قضاة في الدولة.

فهذه هي الطريقة الشرعية الوحيدة لتشكيل وإدارة الحكومة، فإن الحكومة التي سيتم تشكيلها وبعيداً عن ذلك تكون

— دعوة الحق —

حكومة غير شرعية سواء يكون هناك علامات السجود على جبين رئيسها أو لقب هو بأمير المؤمنين.

٩- وإذا تم إنشاء حكومة إسلامية في مكان ما، فعادة يُطلب منها تطبيق الشريعة فيه. ولكن هذا التفسير مضلل لأنه يعطي الانطباع بأن الحكومة في الإسلام لها الحق في فرض جميع أحكام الشريعة على الناس بقوة الدولة، رغم أن هذا الحق في القرآن والحديث لم يثبت لأية حكومة. فهناك نوعان من الأحكام في الشريعة الإسلامية، أحدهما يُعطى للفرد كفرد، والآخر يُعطى للمجتمع الإسلامي، النوع الأول هو فيما بين الله وععبده، إنه مسؤول أمام ربه و ليس أمام أي حكومة. لذلك ليس لأي

— دعوة الحق —

حكومة في العالم مثلاً أن تجبر شخصاً ما على الصيام أو الذهاب للحج أو العمرة أو الختان أو تقصير شاربه، ولتغطية صدرها إن كانت امرأة. فليس لديها سلطة تتجاوز التعليم والإرشاد والوعظ في مثل هذه الأمور، إلا أن يخشى أن يفقد الشخص المواطن حقوقه أو ينتهك حياته وممتلكاته وشرفه. لقد أوضح القرآن بصراحة تامة أنه من بين الفرائض الإيجابية للدين، الصلاة والزكاة فقط، والتي يمكن لنظام جماعي للمسلمين أن يطالب بهما بقوة القانون إذا شاء. يقول القرآن أنه بعد ذلك يلزمه أن يخلي سبيلهم ولا يحاول أن يفرض عليهم شيئاً.^{٢٢} أما النوع الآخر من الأوامر فقد

^{٢٢} التوبة ٩: ٥.

— دعوة الحق —

أعطي في الواقع للحكومة. لأنها هي في الشؤون الجماعية تمثل المجتمع. وإذا طلب العلماء من الحكام أن يعملوا بها، فإنه يحق لهم ذلك، وعليهم أن يفعلوا ذلك بطبيعة منصبهم. لكن هذه دعوة للعمل وفقاً للشرعة، ولا يمكن اعتبار تفسير تطبيق الشريعة مناسباً لها أيضاً.

وهذه الأحكام كالتالي:

أ- المسلمون ليسوا رعايا لحكامهم، بل مواطنون متساوون وعلى مستوى القانون والدولة لن يفرق بين كبير وصغير، وبين نبيل وحقير، وستُقدس أرواحهم وممتلكاتهم وشرفهم. وحتى الحكومة لن تكون قادرة على فرض أية ضريبة عليهم غير الزكاة دون موافقتهم. وإذا نشأ نزاع بينهم في شؤونهم

— دعوة الحق —

الشخصية، أي الزواج والطلاق والميراث والمعاملات والأموال الأخرى من هذا النوع، يتم الفصل فيه وفقاً للشرعة الإسلامية. ويجب تزويدهم بجميع التسهيلات اللازمة لأداء صلاة النهار والليل وصيام شهر رمضان والحج والعمرة. ويحكمون بالعدل تجسيدا لـ ﴿أَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ و ستكون ممتلكاتهم الوطنية حصيرة للاحتياجات الجماعية ولا يتم منحهم للملكية الخاصة، ولكن سيتم تطويرها بطريقة تجعل أولئك الذين تخلفوا عن الركب في السباق الاقتصادي يتم تلبية احتياجاتهم أيضاً من دخل تلك الممتلكات. وعند مغادرتهم الدنيا يكون دفنهم على طريقة المسلمين ويُصلى على جنازتهم ويدفنوا في مقبرة المسلمين.

ب- يتم إدارة و ترتيب صلاة الجمعة

— دعوة الحق —

والعيدين من قبل الحكومة، وتؤدي هذه الصلوات فقط في الأماكن التي تحددها لهم الحكومة، وسيكون منبرهم خاصًا بالحكام، فالحاكم يلقي الخطبة ويؤمهم. أو أي من ممثلي الحكومة سوف يفي بهذه المسؤولية نيابة عنهم. ولن يتمكن أي شخص من إدارة و ترتيب هذه الصلوات بمفرده داخل الدولة.

ج- ووكالات إنفاذ القانون هي وكالات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. لذلك يجب اختيار أفضل وأصلح أفراد المجتمع كعاملين لهذه المؤسسات، الذين يغرسون الخير في الناس ويمنعونهم من كل الأشياء التي اعتبرها الإنسان شرًا أبدًا. ومع ذلك، لن تُمارس سلطة القانون إلا عندما ينتهك شخص ما حقوق الآخرين أو يسعى إلى اتخاذ إجراءات ضد حياتهم أو ممتلكاتهم

— دعوة الحق —

أو سمعتهم.

د- و ستبقى الحكومة قائمة بالقسط حتى ومع أعدائها. تقول الحق وتشهد للحق ولا تتخذ أي إجراء ينحرف عن الحقيقة والعدالة.

ه- إذا كان هناك اتفاق مع شخص ما داخل الدولة أو خارجها، فإلى ما بقي الاتفاق يجب الالتزام به بأقصى درجات الأمانة و الصدق من حيث الكلمة والمعنى.

و- لن يتم المحكم بالإعدام على أي جريمة باستثناء القتل والفساد في الأرض كذلك، وإذا ارتكب مواطن مسلم من مواطني الدولة أية جريمة من الزنا والسرقه والقتل والفساد في الأرض والافتراء و ما إليها، و اقتنعت المحكمة أنه لا يستحق أي تنازل من حيث أحواله الشخصية و العائلية و

— دعوة الحق —

الاجتماعية، سيتم فرض العقوبة عليه. التي أوجبها الله تعالى في كتابه لمرتكبي هذه الجرائم بعد قبولهم لدعوة الإسلام بوعي كامل.

ز- وستتخذ الإجراءات اللازمة على مستوى الحكومة لنشر رسالة الإسلام في العالم. وإذا قامت أية قوة في العالم بعرقته واضطهاد وتعذيب المسلمين بالقوة، فإن الحكومة ستبذل قصارى جهدها لإزالة هذه العقبة ووقف هذا العنف. وعلى الرغم من الالتجاء إلى أن تحمل السيف من أجل ذلك.^{٢٣}

١٠- هذه هي أحكام الشريعة في الإدارة

^{٢٣} للاطلاع على أدلة هذه الأحكام في مصادر الإسلام، يُرجى الرجوع إلى كتابنا "الميزان".

— دعوة الحق —

الجماعية، ولقد أعطيت بإنذار وتهديد أنه من لا يحكم بما أنزل الله ولا يحكم وفق الشريعة التي أنزلها الله فيه فانهم يعتبرون عند الله ظالمين وكافرين وفاسقين يوم القيامة.^{٢٤} لكن إذا استمر حكام المسلمين في إهمال وعصيان في هذا الأمر، فإن مسؤولية العلماء والمصلحين ليست إلا أن يحذروهم من العواقب الوخيمة لذلك في الدنيا والآخرة. وان يدعُووهم إلى اتخاذ الموقف الصحيح بالحكمة وأسلوب الوعظ الحسن، وان يواجهوا أسئلتهم، وان يحاولوا لإزالة مشاكلهم، ويشرحوا لهم بالحجج والبراهين لماذا أعطى الله تعالى شريعته. و ما هو علاقة ذلك بالحياة الجماعية؟ وما

^{٢٤} المائدة ٥: ٤٤ - ٤٧.

— دعوة الحق —

هو أساس الاحكام فيها ولماذا يجد الإنسان المعاصر صعوبة في فهمها؟ وأن يتخذوا مثل هذه الخطوات التي تجعل حكمتها و معناها وهدفها واضحًا لهم وتجعل قلوبهم وعقولهم مستعدة لقبولها و متابعتها برضا كامل. فإن القرآن وصف موقف العلماء من الدعوة بهذه الطريقة. ولم يجعلهم أوصياء ومسيطرين على أمتهم بأن يحق لهم تنظيم مجموعات من أتباعهم لمحاولة إجبار الناس على الالتزام بالقانون تحت تهديد السلاح.



النهي عن المنكر

ومن مقتضيات الإيمان اللازمة النصح للناس وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر. ويجب أن يكون هذا التلقين والنهي بالحكمة والموعظة الحسنة وفي أسلوب دعوي ناصح، فإن هدى الناس وضلالهم موكول إلى الله تعالى إنه يعلم من ضل عن سبيله ومن هم من المهتدين. ولذا لا ينبغي أن يكون شخص مسيطرا في دعوة إلى الحق والإنصاف، ولا أن يصدر أقضية الجنة والنار في حق مخاطبيه. والقرآن واضح كل الوضوح في

— دعوة الحق —

ذلك أنه لم يؤذن لرسول وني أن يتعدى حدود التذكير والنصح والبلاغ المبين فقد قال تعالى:

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ، لَسْتَ عَلَيْهِمْ

بِمُصِيطِرٍ﴾. (الغاشية ٨٨: ٢١-٢٢)

ولكن في دائرة اختيار شخص ما يختلف الأمر، إذا بلغ الرجل رشده يكون عادة زوجا لإمرأة ويليهِ كونه أبا للولدان. وهاتان الحثيتان لبني آدم توجدان لهم مدى اختيارهم و سلطتهم ديانة وفطرة. ويصدق ذلك على الإدارات والحكومات أيضاً. فإنها إذا قامت أوجدت للرؤساء ومن لهم أزمة الأمور دائرة سلطانهم ومجال تغلبهم، وقد أراد النبي صلى الله عليه وسلم ذاك المجال إذ قال:

— دعوة الحق —

"من رأى منكم منكراً فليغيره بيده،
فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع
فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان.

(مسلم، رقم ١٧٧)

وقد استخدم هنا للسوء لفظة "المنكر".
ولا يراد بها المساوى التي تتولد من عصيان
الأوامر الدينية الخاصة، بل يراد بها المساوى
التي تعتبرها البشرية بأجمعها مساوى، بدون
امتياز الديانة والملة كالسرقة والكذب، الخيانة،
الغبن، عدم الأمانة، التطفيف في الكيل،
الخلط، إتلاف الحق، الفواحش، الاعتداء
على النفس والمال والعفاف وما إلى ذلك
من أراذل الخلق، يطلق عليها "المنكر" في
اللغة العربية. ومقولة النبي صلى الله عليه
وسلم هذه أيضاً تتعلق بهذه المساوى.
وهذا متفرع أيضاً على الحكم القرآني للأمر

— دعوة الحق —

بالمعروف والنهي عن المنكر. فقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم أنه إذا لم تخلوها منكراً في حدود سلطتكم ومقدرتكم في قلوبكم فذلك أضعف الإيمان.

وورد في هذه الرواية ألفاظ "إن لم يستطع" علينا أن نتفهمها جيداً. لم يرد بهذا الإستطاعة التي تكلف الإنسان لشيء فإنه بصورة عدم تلك الاستطاعة لم ينزل الإنسان إلى أحط درجات الإيمان إذا لم يعمل بأي حكم شرعي. لا، وإنما جاءت هذه الألفاظ هنا في معنى الهمة والعزيمة، والتي تضعف أو تزداد بقوة الإيمان أو ضعفه. ومعنى ذلك أنه عُنِيَ بها مدى سلطات حيث إذا لم يغير شخص منكراً فيها فإنه انحط من الدرجة الأولى للإيمان لأنه مع نفوذه ومقدرته لم يحاول لمكافحة ذاك

— دعوة الحق —

السوء. ولكن لا يعني ذلك أن ينظم الناس جماعات وعصابات لأتباعهم وأن يخرجوا لإزالة المنكرات لكي يحصلوا هذه الدرجة الأولى للإيمان. إن أية خطوة كهذه تكون أسوأ فساد في الأرض لا مكان له في الدين. فإن جميع الأحكام الدينية أُعطيت للإنسان اعتباراً بمقدرة الإنسان واستطاعته. ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^{٢٥} مبدأ قطعي للقرآن اعتبر به في كافة أحكام الدين و أوامر الشريعة. فينبغي أن نفهم ارشادات النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً في ضوء هذا المبدأ.

^{٢٥} البقرة ٢: ٢٨٦.

فندعو الإنسانية جمعاء إلى الإيمان
بهذا الدين، وأن يزكّوا حياتهم الفردية
والجماعية طبقاً له. فمن يقبل هذه
الدعوة سيُجزى بالجنة، سعتها
كسعة الكون كله؛ جنة لا يُتصوّر
فيها موت مع الحياة، ولا ألم مع
اللذة، ولا غم مع الفرحة، ولا
اضطراب مع الطمأنينة، ولا هم مع
الراحة، ولا نقمة مع النعمة. راحتها
دائمة، ولذّتها لا نهاية لها، وزمانها
خالد، وسلامتها أبدية، وسرورها غير
فانٍ، وجمالها لا زوال له، وكمالها لا
نهاية له. فقد أعدّ الله فيها لعباده
الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن
سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

الأستاذ جاويد أحمد غامدي